حرمة المال العام

س: لاشك أن الإسلام قد وضع حدوداً لعلاقة المسئول عن المال العام بالمال العام، فبين الذي يحل له منه والذي لا يحل له منه، هل نستطيع أن نقف على هذه الحدود، حتى يكون كل فرد منا على بينة من هذا الأمر؟

ج: بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

فإن الإسلام وقد جاء به البيان الشافي لكل ما يهم الناس وما يحتاجون إليه في شئون حياتهم، لابد وأن يكون قد بين حدود العلاقة بين المسئول عن التصرف في المال العام وما يحل له وما لا يحل، ذلك أن هذه قضية عامة تواجه الكثير من الناس، وللإسلام فيها موقف واضح وصريح ومحدد.

هذا الموقف جاء واضحاً في قول النبي صلوات الله وسلامه عليه **«مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ»**.

إذاً القاعدة العامة تتمثل في أن الحقوق التي حددتها النظم واللوائح الخاصة بالرواتب والبدلات وأمثالها، هي التي يحل للفرد أن يحصل عليها مقابل عمله، وأية محاولة للاستفادة فوق ذلك فهي غلول، أي خيانة، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[آل عمران:١٦١] أي يأتي حاملاً له على ظهره أو رقبته، دلالة وعلامة على خيانته، وفضيحة له، قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ**﴾[الأنعام:٣١].

وقد أكثر النبي صلوات الله وسلامه عليه من التحذير من الغلول، وبين أنه

طريق إلى النار والعياذ بالله تعالى فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كِرْكِرَةُ. فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«هُوَ فِي النَّارِ»**، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا. وروى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً أصابه سهم فقتله، فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا»** فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»**. أي إن بقيا معه، ومات رجل يوم خيبر من الأصحاب فبلغ النبي ﷺ فقال: **«صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»** فَتَغَيَّرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ فَقَالَ: **«إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ»**، وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانًا قَدْ اسْتُشْهِدَ قَالَ: **«كَلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ بِعَبَاءَةٍ قَدْ غَلَّهَا»**. وقد بين ﷺ أن الغال يأتي يوم القيامة يحمل ما غل يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ: **«لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»**.

س: هذا وعيد تنخلع له القلوب، فكيف السبيل إلى تنبيه الناس بهذه القضية، التي ينظر إليها الناس بكثير من التساهل؟

ج: الحقيقة أنها قضية خطيرة والوعيد عليها شديد ـ كما تفضلت ـ ونظرة الناس إلى الحصول على المال العام الذي تحت أيديهم، فيها الكثير من التساهل، وينبغي نشر الحقائق، وتعليم الناس، وبيان خطورة ما يحدث منهم، إن شملة لا تساوى درهمين، وشراكاً لا يساوى درهماً، وعباءة لا تساوى كثيراً، قد أدخلت صاحبها النار بعد جهاده مع رسول الله ﷺ فما بالنا بمن يرتعون في المال العام، ويتأثلون منه الثروات، ويبنون منه العقارات، وهم لا جهاد لهم ولا فضل، وهم أحوج ما يكونون

إلى العمل الصالح الذي يجدونه يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩] إن الإذاعة والتلفاز وشتى وسائل التربية والتثقيف يجب أن تنصح وتعلم وترشد حتى تحمى الناس من الوقوع في النار. إن قلماً من رصاص، أو مجموعة من الأوراق، أو مكالمة تليفونية خاصة على حساب المال العام لا تسمح بها اللوائح تمثل جريمة كبيرة في حق المال العام.

س: لماذا كان العقاب الشديد على عمل يراه الناس محدوداً؟

جـ: ليست العبرة بقلة الشيء أو كثرته، وإنما العبرة بدلالته وأثره، فاختلاس القليل من المال العام يعنى الخيانة ويعنى عدم الأمانة، والأمانة جزء من الإيمان ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[المعارج:٣٢] كما أن أثر شيوع ذلك في المجتمع مدمر وخطير، فحيث يكون المال العام كلأً مباحاً، لمن ائتمنوا عليه، لن يكون محققاً للأهداف التي رصدته لها الأمة، ولن تكون له إنتاجية، ولن يستفيد منه المجتمع، أي أن الأثر السيء سيعم جميع أفراد الأمة، وكفى بذلك جرماً يرتكبه الشخص، أن يخون الملايين ويختلس أموالهم. إن كل شخص يقع منه ذلك في أي مستوى من المستويات، يكون غاشاً للأمة، غير ناصح لها وقد روى سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، وقال: «**وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**». وقد علمنا أن كل فرد منا راع، على مستوى ما.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، ويبصرنا بما يفيدنا، ويقينا الخيانة، ويوفقنا إلى أداء الأمانة إنه سميع مجيب.